جهود الشيخ عبد الجليل إبراهيم الهيتي

في توجيه الخطاب الديني المعتدل

أ.د. فراس يحيى عبد الجليل

جامعة الأنبار

كلية العلوم الإسلامية

firasyehia1971@gmail.com

ISSN: 2071-6028

مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية

عدد خاص بالمؤتمر الدولي الأول لجامعة الأنبار الموسوم (الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي وأثره في تعزيز التنمية المجتمعية)

١٠/٣١ - ١١/١

٢٠١٨ م

مجلة علمية فصلية محكمة

ISSN: 2071-6028

جهود الشيخ عبدالجليل إبراهيم الهيتي في توجيه الخطاب الديني المعتدل

أ.د. فراس يحيى عبدالجليل
جامعة الأنبار/ كلية العلوم الإسلامية

ملخص باللغة العربية

أولا: الفكرة العامة للبحث: تُعد قضية الخطاب الديني المعتدل مشغلة الدراسين ومثار النقاش بين المتعلمين، التي يجب تفعيلها بشكل فاعلي في البناء الحضاري وبالنوعية وبالقدر الذي يرمي إليه، وبالتالي فإن الأزمة تكاد أن تهدد وجود الأمة، والبديل الوحيد أمامنا هو أن نملك القوة في الحياة، وأن نكوّن أنفسنا لا غيرنا، وأن نمسك بأسباب القوة والمنعة، لتعطينا الحياة طاقاتها وثرواتها، لنسخرها كما نريد. **ثانيا: الهدف من البحث:** يهدف البحث إلى تفعيل قضية الخطاب الديني المعتدل في ضوء أفكار الشيخ عبدالجليل وتوجيها توجيها صحيحا وإبراز الوسط الخطابي المعتدل. يضيف البحث قيمة علمية لإبراز دور العلماء والدعاة في ذلك العصر. **ثالثا: منهجية الدراسة:** جمع المادة العلمية مباشرة من مؤلفاته المخطوطة، وآراه التفسيرية وخطبه ومواعظه المكتوبة والمسجلة وتعليقاته لبعض الكتب التي اقتناها أو أهديت له، ومن والدي وقد اطلعت على بعض مخطوطاته والكتب التي علّق عليها. **رابعا: أهم النتائج:** ١. إن الإسلام هو أعظم العقائد، وهو المنهج السائد في روح سماحة الشيخ، وهو منهج وسط. ٢. الاهتمام بتربية النشء المسلم تربية فكرية أصيلة على وفق شريعة الإسلام الصحيحة المعتدلة. ٣. معالجة الأسباب التي أدت إلى التطرف والغُلو، مثل الفقر وغياب العدل والمساواة في المجتمعات الإسلامية. ٤. احترام حرية الأشخاص، وبث روح التعاون والألفة، والابتعاد عن جو البغضاء والشحناء، والنهي عن التقاتل فيما بينهم. ٥. توظيف واختيار آيات من القرآن الكريم دعت إلى اختيار مجتمع سليم بعيد عن كل يناقض ويناهض الغلو والتطرف. ٦. الدعوة إلى الوحدة في العقيدة والاجتماع والفكر والسلوك وفي أسسه التشريعية التي جاءت بها. **خامسا: التوصيات** ١. إنشاء معاهد متخصصة تقوم على تكوين الدعاة وتطور من قدراتهم وسائل الخطاب الدعوي. ٢. شمول المناهج التعليم وفق أسس ومبادئ الشريعة والإسلام. ٣. تربية الجيل المسلم على الابتكار والابداع وعدم التقليد والتبعية.

الكلمات المفتاحية: جهود ، توجيه ، خطاب

Efforts of sheikh Abdul-Jalil Ibrahim Al-Hiti in the orientation of Moderate Religious Discourse

Assist. Prof. Dr. Firas Yahyia Abdu-Jalil

***Abstract**: The issue of moderate religious discourse preoccupied researchers and informed discussions among scholars. This issue should be activated in cultural cultivation both in quality and quantity. Crisis threatens to undermine the life of the Islamic nation and the only alternative is to have the will to live, we be ourselves, and own the means of power and strength to have life give us its energies and fortunes so we may use them as we will. This paper aims at activating the issue of moderate religious issue in the light of the thoughts of Sheikh Abdul-Jalil and putting it on the right track and stress the moderate discursive means. This paper also adds scientific value to identifying the role of scholars and preachers at that time. The paper collects its material directly from Sheikh Abdul-Jalil's published and unpublished works, interpretive views, addresses, written and recorded sermons, and comments on books he owned or received as gifts. My father provided me with valuable books and manuscripts that contain some of his father's comments. The most important findings of the study are: 1. Islam is the greatest of beliefs and the predominat method in the personality of the Sheikh and it is a middle path approach. 2. Attention to give young Moslems an original intellectual education in accordance to the true and moderate Islamic shariah. 3. Respect of individual liberty and the dissemination of the spirit of friendliness and familiarity and head away from the atmosphere of disgust, malignancy and prevention of fight among Moslems. 4. Treatment of the causes of extremism and excess like poverty and absence of justice and equality in Islamic societies. 5. Selection and manipulation of verses from the Quran that call for a sound society opposing excess and extremism. 6. Call for unity through dogma, gathering, intellect, and conduct as based on its shariah sources. The paper recommends the establishment of specialized institutes to qualify missionaries and develop their skills and the means of call to Islam discourse. Curriculm and textbooks should be constructed in accordance to the fundamentals of Shariah and Islam. The paper also recommends the bringing up of a Moslem generation on the values of invention, creativity, and refusal of imitation and submission.*

***Keywords**: efforts, direction, speech*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وجعله تذكرة للمؤمنين في كل زمان ومكان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي بركاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، أما بعدُ:

تُعد قضية الخطاب الديني المعتدل شغل الشاغلين ومدار الباحثين التي تثار في الحياة اليومية، إذ تشل فاعلياتها في البناء الحضاري، لتعيش عالة على غيرها تستهلك ما ينتجون، بالنوعية وبالقدر الذي يريدون، وبالتالي فإن الأزمة تكاد أن تهدد وجود الأمة، والبديل الوحيد أمامنا هو أن نملك القوة في الحياة، وأن نكوّن أنفسنا لا غيرنا، وأن نمسك بأسباب القوة والمنعة، لتعطينا الحياة طاقاتها وثرواتها، لنسخرها كما نريد، واكتساب القوة له شروطه ومتطلباته، وهذا لن يتأتى بالصراخ والعويل، وإنما بسلسلة من المجاهدات التي يأتي في مقدمتها التغيير الاجتماعي الذي هو شان جماعي بالدرجة الأولى، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١).

لذا يجب على المسلم أن يبدأ بتنمية نفسه وتزكيتها ليكون على مستوى خطاب التكليف، وأن يطور وسائله في التربية والدعوة إلى الله، ليكون بمستوى المهمة التي يطلبها إسلامه وعصره على حد سواء، لذا جاءت هذه الدراسة لتصف رؤية كاتبها لعالم فعّل قضية تجديد الخطاب الديني من خلال جهوده في توجيه طلبة العلم في الدعوة إلى الله تعالى، وجهوده في التدريس والتآليف والخطب المنبرية، وجهوده في الدعوة للوسطية والبعد عن الغلو في الدين، وجهوده في الفتوى، وجهوده في الدفاع عن حقوق الرعية، كل تلك الجهود أدت إلى إبراز الخطاب الديني المعتدل، لتكّون ينابيع معرفية متجددة في ضمير الأمة الحي لدعم عملية التنشئة الرشيدة بشكل مستمر، وتوسيع نسيج الثقافة المثمرة، وتدعيم التجارب الناجحة بالقدوة الحسنة لا سيما وأن طوفان التطرف سيبتلع كل مقومات الأصالة المعاصرة ويصبح كالهشيم البالي تذروه الرياح إذا لم تحصن بالأبحاث الجادة، وتصقل بالمقترحات النافعة، وتفعيل دور النشء الجديد.

وعالمنا الشيخ عبدالجليل رحمه الله تعالى دافع عن الإسلام في سائر أقواله وأفعاله أمام الشبهات التي يرمي بها أدعياء الدين الجدد مستخدما علمه الواسع وقدرته على المحاجة والجدل، وإفحام الخصوم بالمنطق السديد، ويكمن ذلك من خلال خطبه المنبرية التي يشهد لها أهل المدينة وطلبة العلم من داخل العراق ومن خارجه، ومع قدرته وباعه في ذلك، علما بأنه لم يؤلف كتابا منفردا عن الخطاب الديني، ومن هنا جاءت الحاجة لجمع أقواله المبثوثة في دعوته وتوجيه

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

ومحاضراته وبيان اهتمام الشيخ بالخطاب الديني والله أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه.

ورغبة مني في إبراز دور من خدموا الإسلام بشكل معتدل وناصع، ودراسة بعض آثاره وأقواله المبثوثة في شتى ميادين المعرفة عند الشيخ رحمه الله تعالى جاء هذا البحث، إذ له جهود كبيرة في توجيه المجتمع الاسلامي، إذ خفيت على كثير من الناس نظرًا لشهرته في مجالات أخرى كالفقه والحديث والعقيدة والعربية وغيرها، وقد أحببت أن أُبين هذه الجهود، وأُبرزها خدمةً للعلمِ وأهلهِ، ووفاءً بحقِّ شيخنا، وردِّ البعض من جميله، وأرجو أن أوفق في كشف الستار عن حقيقة جهد هذا العالم الكبير الذي يعد من كبار علماء العراق، وأسال الله أن تكون هذه الصفحات شيئا مما أستطيع أن أجازي به فضيلة جدي الشيخ عبدالجليل رحمه الله تعالى بما أفدنا من علمه وأدبه وسمعته وما عند الله خير وأبقى.

وقد اقتضت متطلبات المنهج العلمي أن أجمع المادة العلمية للشيخ رحمه الله تعالى من مضانها المباشرة، وأعني بها ما كتبه في تلك المجالات، والذي ما زال جميعها مخطوطا مع بعض آراءه التفسيرية التي دوّنها في أوراق خطبه ومواعظه المكتوبة والمسجلة وما سطره من تعليقات بيراعه أثناء قراءته لبعض الكتب التي اقتناها أو أهديت له، ونظرًا لجدة هذا البحث ومعاصرته فإن جزءً من مادته العلمية ليست مثبتة في الكتب والمراجع، ولذا فإني أخذتها مشافهة من تلامذة الشيخ ومرافقيه ممن سبقوني زيادة للتوثيق، ومن والدي حفظه الله تعالى، وقد عاصرت جزءًا من حياته الشخصية الأخيرة إذ إنّي حفيد للشيخ الجليل رحمه الله تعالى وقد اطلعت على بعض مخطوطاته والكتب التي علّق عليها، وكلها مودعة في مكتبته الشخصية التي لا تزال موجودة إلى حد الآن في داره، بالرغم مما عصف به الإرهاب الأعمى من تدمير وخراب حل بمدينتنا، والذي طال بيت الشيخ رحمه الله تعالى.

أمّا اختياري لهذا الموضوع فضلًا عن ما تقدم ذكره فكان لأسباب أهمها:

١- الكشف عن مدى اهتمام الشيخ بمسألة الخطاب الديني، ومدى توظيف ذلك بتأمله لفهم معاني كلام الله تعالى.

٢- مكانته العلمية التي شهد بها علماء عصره.

٣- إبراز جهود الشيخ رحمه الله تعالى باعتباره أحد العلماء الذين لهم قصب السبق في هذا المجال.

٤- الوفاء ببعض حق هذا الشيخ على طلابه ومحبيه، والناهلين من معين علمه رحمه الله

٥- إنه لا توجد دراسة علمية سابقة تناولت هذا الموضوع بالبحث الدقيق.

أهداف البحث:

١- بيان اهتمام الشيخ عبدالجليل إبراهيم الهيتي بموضوع الخطاب الديني.

٢- فتح الطريق أمام الدراسات العلمية المتنوعة لهذا الشيخ كونه أحد الأئمة الأعلام الذين طار صيتهم في الآفاق، لينهل من علمه الظماء، ويرتشف من معينه العطاش.

٣- المواصلة في البحث والدراسة والتنقيب في كتب ومراجع الشيخ رحمه الله تعالى.

خطة البحث: آلت طبيعة البحث أن تكون على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة وتشمل: أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث، ومنهجي فيه .

وفي المبحث الأول تكلمت عن سيرة الشيخ عبدالجليل الهيتي رحمه الله تعالى، وتشمل ستة مطالب: المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه ولادته. المطلب الثاني: البيت الأسري للشيخ. المطلب الثالث: المكانة العلمية. المطلب الرابع: أعماله. المطلب الخامس: مؤلفاته. المطلب السادس: وفاته.

المبحث الثاني: جهود الشيخ عبدالجليل إبراهيم الهيتي في توجيه الخطاب الديني المعتدل، وفيه ستة مطالب: المطلب الأول: جهوده في الدعوة والتوجيه. المطلب الثاني: جهوده في الفتوى. المطلب الثالث: جهوده في توجيه طلبة العلم في الدعوة إلى الله تعالى. المطلب الرابع: جهوده في التدريس والتأليف والخطب المنبرية. المطلب الخامس: جهوده في الدعوة للوسطية والبعد عن الغلو في الدين. المطلب السادس: جهوده في الدفاع عن حقوق الرعية.

ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

وفي الختام أتوجه بالشكر العظيم لله تعالى على ما أنعم به عليّ من نعم لا تحصى ومنها إتمامي لهذا البحث المتواضع على أتم وجه، فقد بذلت قصارى جهدي في إخراجه على الوجه المطلوب، ونسأل الله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم، وأن يوفقنا لعمل الخير وخير العمل فهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: سيرته الشيخ عبد الجليل إبراهيم الهيتي الشخصية رحمه الله

لم أتوسع في الكلام عن حياته، إذ كُتب عنه كثيرا[١]، وسيكون حديثنا عنه بشكل مختصر وتشمل ستة مطالب وكما يأتي:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ولقبه وولادته:

هو: الشيخ عبد الجليل بن إبراهيم بن أحمد بن خليل بن طه الدوسري أصلا ونسباً[٢] والهيتي مسكنًا[٣]، وكان الشيخ رحمه الله يلقب نفسه بـ(المدرس) وبـ(القاضي) فكان يكتب عبدالجليل المدرس، أو عبد الجليل القاضي، والقاضي صفة له.

أما ولادته: فقد ولد في مدينة الحِلة[٤] عام ١٣١٩هـ/١٩٠٠م، في محلة الهيتاويين (كراد)، وبقي فيها إلى أن أرسله أبوه إلى مدينة بغداد لطلب العلوم الشرعية في عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م، لكنه ظل يراجعها لوجود عائلته فيها، وفي عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م سافر إلى مدينة البصرة[٥] للتدريس في المدرسة الرحمانية، ثم رحل إلى مدينة الرمادي واستقر فيها عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م وقضى بقية حياته فيها.

---

(١) ينظر: حياته بشكل تفصيلي في الكتاب الموسوم: (حياة عالم الأنبار: للشيخ حامد شاكر العاني): ١٢وما بعدها، والأستاذ أنور أحمد موسى على موقع www.alrashed.net. بعنوان الشيخ الجليل عبدالجليل، جهود الشيخ عبدالجليل إبراهيم الهيتي في التفسير ومنهجه فيه، د. فراس يحيى عبدالجليل، بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد ١٣، لسنة ٢٠١٣م.

(٢) نسبة إلى وادي الدواسر في المملكة العربية السعودية.

(٣) نسبة إلى مدينة هيت (بالكسر) سميت باسم بانيها وهو هيت بن البنوي، ويقال: البلندي، بلدة على الفرات فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة، على جهة في غربي الفرات، وبها قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى. ينظر: معجم البلدان: لياقوت الحموي: ٥/٤٢٠-٣٢١، ومراصد الاطلاع لصفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي: ٣/١٣٦٨.

(٤) (الحِلّة) بالكسر والتشديد عدة مواضع، أشهرها حلة بن مزيد، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كانت تسمى (الجامعين)، أول من عمرها سيف الدولة صدقة بن منصور بن علي بن مزيد الأسدي، وكانت منازله إبانة الدور من النيل، فلما قوي أمره وكثرت أمواله لاشتغال الملوك السلجوقية بالحروب بينهم انتقل إلى هذا المكان، ويقع في غربي الفرات، وبنى بها المساكن الجليلة والدور العامرة، فصارت أفخر البلاد في العراق. ينظر: معجم البلدان: ٢/٢٩٥، ومراصد الاطلاع: ١/٤١٩، وحياة عالم الأنبار: ١٣.

(٥) مدينة تبعد عن بغداد العاصمة (٥٠٠) كيلو إلى الجنوب. ينظر: معجم البلدان: ١/٤٣٠.

المطلب الثاني: البيت الأسري للشيخ

نشأ الشيخ الموقر وتربى في أسرة علمية دينية، تحب العلم والعلماء، وهذا هو شأن الأسر الدينية، إذ إنها تذهب بأبنائها إلى المدارس والمعاهد الدينية ليتلقوا العلوم الشرعية من أفواه العلماء منذ نعومة أظفارهم.

وأسرة الشيخ رحمه الله تعالى من هذا القبيل، فوالده وأعمامه واخوانه جميعهم كانوا علماء، وهم كل من: الشيخ خليل، والشيخ شاكر، والشيخ جميل، والشيخ سعيد وكانوا مدرسين للعلوم الشرعية في مدينة الحلة، أما أخوه الشيخ عبد السلام، فكان مديرًا لأوقاف ديالى[١]، وتولى عمه الشيخ ياسين[٢] القضاء في مدينة النجف[٣] في عام١٨٨٠هـ. لذا فإن أسرته كانت أسرة علمية مشهورة وذات وجاهة معروفة، ويُعدُّ آل الشيخ عبد الجليل من أعيان البلد في مدينتي الحلة والرمادي، وفيهم العمدية، فمنهم أعضاء بمجلس النواب، وموظفون كبار، ومفتون وقضاة ومشرفون تربويون ذوو شأن كبير.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عبد الجليل رحمه الله تعالى كان لا يرى في هذه الانتماءات والألقاب المتعددة حاجزاً بينه وبين انتمائه للأمة الإسلامية؛ لأنه يؤمن أن الانتماء إلى الأمة الكبرى لا يلغي الانتماء إلى الأوطان أو الأقوام، فحب الإنسان لوطنه أو قومه أمر فطري، والإنسان قد ينتمي إلى دوائر متعددة تتداخل وتتكامل ولا تتناقض؛ لذلك فهو يفتخر بجمعه بين هذه الأنساب والانتماءات ما دام الإسلام هو الموجه لها، والحاكم لتصرفاتها من جميع جوانبها، وهذا يدلل على أنه صاحب شخصية شمولية تنسجم مع رسالته العالمية في الدعوة إلى الإسلام.

المطلب الثالث: مكانته العلمية

للشيخ مكانة علمية مرموقة في مجتمعه داخل محافظته وخارجها، وكان إماما فذا، وقد جمع كثيرا من العلوم العقلية والنقلية، وإذا تكلم في مسألة ما أسبغ غورها، وأسس الكلام إلى مضانه، وقد حدثني الشيخ صبحي الهيتي رحمه الله تعالى قائلا: كان يتكلم في مسائل كنت أسأله عنها، أسمع منه كلاما عجبا، وكأني أسمعه لأول مرة، وكذا بعلوم التفسير فهو فيه رافع راية، وفي الحديث وحفظه لمتون الحديث ومعرفة أحوال الرجال كان علما في ذلك، وقد برزت هذه المكانة من خلال ما يأتي:

---

(١) مدينة تبعد عن بغداد العاصمة (٦٠) كيلو إلى الشمال الشرقي. ينظر: معجم البلدان: ٣٣٤/٥.

(٢) هو الشيخ ياسين أحمد طه الدوسري، عالم فقيه لغوي، مفتي مدينة هيت، توفي عام ١٩٣٤م. ينظر: هيت في إطارها القديم والحديث: ٥٨.

(٣) مدينة تبعد عن بغداد العاصمة (١٨٠) كيلو إلى الجنوب الشرقي. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار: ٥٧٥.

١- إقباله على العلم منذ نعومة أظفاره، فقد حفظ القرآن الكريم منذ الصغر، وطلب العلم مبكرا.

٢- تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها: الورع والزهد ورحابة الصدر، والعمل لمصلحة المسلمين والنصح لعامتهم وخاصتهم.

٣- انتفاع الكثيرين من علمه إفتاءً وتدريساً، واهتمام الناس بذكر آراءه العلمية واختياراته السديدة، وما منّ الله عليه من ملكات فردية، ومواهب شخصية، وتوقد الذهن، وحسن الفهم للمسألة، كل ذلك كان له الأثر الكبير في علو شأنه، وسعة علمه، واعتراف الناس بفضله.

٤- إلقاؤه المحاضرات العامة في مختلف مناطق العراق.

٥- اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

٦- تأثر الناس به بعد وفاته فقد تحدثت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة عنه، ورثاه الخطباء والعلماء والشعراء.

٧- ما بسط الله تعالى له من طول العمر، وما نسأ له في الأجل، إذ كانت سحابة عمره المبارك تسعين عاما تقريبا، فإذا كان قد قضى وأفتى وصنّف وحصّل، فما ظنك بما ناله عقد الثمانين والتسعين.

٨- إن حفظه للعلم بإخلاص منحه حفظ الله له فقد توفاه وهو في كامل قواه، ممتع بحواسه لم يتغير فهمه، ولم يلتبس إدراكه أو يختلط.

المطلب الرابع: أعماله

تولى الشيخ عبد الجليل رحمه الله تعالى جملة من الأعمال العظيمة في المجالين العلمي والدعوي ومن هذه الأعمال:

١- أحد أعضاء كبار العلماء بالإفتاء في بغداد والأنبار.

٢- التدريس في مسجده، إذ أمضى فيه ما يزيد على نصف قرن يدرس طلبة العلم الدروس الشرعية.

٣- التدريس النظامي: إذ بدأ التدريس في المدرسة الرحمانية في مدينة البصرة مدرساً ومعاوناً.

٤- شارك في عضوية جمعية الأخت المسلمة في بغداد عام ١٩٦٠م.

٥- كان عضوًا في جمعية الهداية الإسلامية في الخمسينيات.

٦- كان مؤسسا ورئيسا لرابطة علماء الأنبار في محافظة الأنبار – الرمادي عام ١٩٦٥م.

٧- تولى الخطابة في الجامع الكبير في الرمادي بعد انتقاله من مدينة البصرة إلى

مدينة الرمادي وذلك في عام ١٩٤٣م.

٨- ترأس لجنة التوعية الإسلامية في محافظة الأنبار.

المطلب الخامس: مؤلفاته

لقد كانت القراءة والكتابة والتأليف الشغل الشاغل لفضيلة الشيخ عبد الجليل الهيتي رحمه الله تعالى وهو يرى فيه خير سلوة، وأحلى عبادة، وإحدى السبل للظفر بكتاب الله عز وجل، فكانت له مؤلفات في فنون كثيرة، منها:

١- تفسير أوائل سورة المؤمنون «مخطوط».

٢- تفسير أوائل سورة القلم «مخطوط».

٣- رسالة في شرح الحديث النبوي الشريف: (بني الإسلام على خمس) «مخطوط».

٤- رسالة في شرح الحديث النبوي: (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام) «مخطوط».

٥- رسالة في فقه الطهارة: (ابتدأها بالطهارة وختمها بالحيض) «مخطوط».

٦- رسالة (لزوم الطلاق الثلاث دفعة بما لا يسع العالم دفعه) «مخطوط».

٧- (رسالة في علم التجويد)[١] «مخطوط». تناول فيه الشيخ عبد الجليل رحمه الله مجموعة من أحكام التجويد، مع تطبيقات لها على الآيات القرآنية، كما تناول فيه مباحث مهمة في علوم القرآن، وهي:

- الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم.
- فواتح السور.
- مباحث في الضمائر في القرآن الكريم.
- نزول القرآن: كيفيته نزوله – مدّة نزوله- أنواع نزوله- تعدد السبب.

المطلب السادس: وفاته

توفي الشيخ عبدالجليل الهيتي في يوم الاثنين الخامس من صفر عام ألف وأربعمائة وتسعة من الهجرة النبوية الشريفة (١٤٠٩هـ) الموافق لليوم السادس والعشرين من أيلول لعام ألف وتسعمائة وثمانية وثمانين ميلادية (١٩٨٨م) وله من العمر ثمان وثمانين سنة، وكانت وفاته في مدينة بغداد في إحدى مستشفياتها، بسبب مرض عضال ألّم به وقد شهد جنازته القضاة والأعيان والعلماء وخلق كثير ودفن في مقبر وسط مدينة الرمادي عن عمر ناهز الثمانية والثمانين، فرحم الله الشيخ واسكنه فسيح جناته وأحازه الفردوس الأعلى من الجنة فقد كرّس حياته وذاكرته الفذة لخدمة الإسلام وعلوم الشريعة تدريسا وتأليفا وإفتاء ووعظا آمين.

---

(١) له أيضا في التجويد تقريض لبعض كتب التجويد مثل: كتاب الخلاصة في علم التجويد: للشيخ محمد عواد العاني.

المبحث الثاني: جهود الشيخ عبدالجليل إبراهيم الهيتي في توجيه الخطاب الديني المعتدل

المطلب الأول: جهوده في الدعوة والتوجيه:

إن سيرة الشيخ رحمه الله تعالى العمليَّة مليئة بالدعوة إلى الله تعالى، وقد اهتم بها ودعا إليها، ولا غرابة بالموضوع فبيته الأسري الذي نشأ فيه، كان مدعاة للدعوة إلى الله تعالى، فدعا ونشر دعوة الله منذ أن كان طالبا في المدارس الدينية، مبتدئا بأهل محلته التي كان يعيش فيها، وله في الدعوة إلى الله تعالى طرقا كثيرة، عن طريق الخطبة والدرس والوعظ والإرشاد، فلم يوجِّه دعوته لِصِنفٍ مِن الناس، أو شريحة أو فئة معينة، بل دعا جميع أفراد الناس، بل يوجِّه دعوته إلى كافة فئات المجتمع؛ لأن الدعوة تكليفٌ مِن الله لا بد مِن القيام به كسائر التكاليف الشرعية، كما لم يخص مكانًا دون غيره للدعوة؛ بل كان يدعو في المسجد كما أسلفنا، في الطريق، والسوق، والحضر، والسفر، بل وحتى في المقبرة، وفي رحلات الحج، وفي الدروس الخاصة، لِتَصِل إلى أكبر عددٍ ممكن من الناس، واستمرَّ رحمه الله تعالى في أداء هذه المهمَّة الجليلة، مُشمِّرًا عن ساعديه، باذلًا كلَّ ما في وُسعه، مُستخدمًا كلَّ وسيلة متاحة، متحمِّلًا كلَّ أذًى في سبيل إبلاغ الدعوة، وإخراجِ الناس من الظلمات إلى النور.

ومن مجال الدعوة إلى الله تعالى عند الشيخ رحمه الله تعالى عنايته جهودا مختلفة، ووسائل شتى، فإن الدعوة إلى الله ليست مقصورة في مدار معين كما أسلفنا، وسنوضح أهم الجهود والوسائل التي سلكها الشيخ في الدعوة إلى الله تعالى باختصار:

١- إلقاءه على بعض الناس من الذين يرمون الدخول في دين الله أفواجا، لا سيما وإن مدينته كانت تسكن فيها بعض شرائح اليهود، فيدعوهم إلى الله بحسب الكيفية التي يراها الشيخ، ويعرض ويستشهد لهم بالآيات الدالة على ذلك كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ...﴾[١]، وكقوله تعالى: ﴿... لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[٢]، ويشرح لهم الآية الكريمة قائلا لهم: (إذا أردنا مثلا أن ندعو شخصا ما ينكر وجود الله تعالى واتباع رسوله، فإننا نبدأ معه بإثبات وجود الخالق، وذلك بسياق الأدلة العقلية وضرب الأمثلة الحسية على وجود الخالق ....، ثم انتقل بعدها إلى إثبات الألوهية ووجوب عبادته ....)[٣].

٢- الأماكن العامة كالمساجد والتجمعات، كمواسم شهر رمضان المبارك وخصوصا بعد صلاة العصر في مسجده الذي يُعرف بجامع الشيخ عبدالجليل وسط المدينة، فكان يوميا

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٣.

(٣) كلامه بتاريخ ١٩٥٠م لبعض العوائل اليهودية في مدينة الرمادي، نقلها لي أحد مرافقي الشيخ، وتلميذه اعتذر عن نشر اسمه، بناء على طلبه.

يخصص أكثر من درس في إفهام الناس معنى الدعوة الله تعالى وعدم الإشراك به ويدلل على ذلك بما جاء للأنبياء في القرآن الكريم من محاججتهم لأقوامهم، وكيف ساقها الله تعالى بألفاظ قرآنية في غاية الدقة، وما لاقى الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وفي مواسم الحج كذلك يبين لهم ما لاقاه سيدنا إبراهيم عليه السلام من دعوة قومه وما ساقه القرآن الكريم في نبذ عبادة الحجارة، وإبراز التوحيد والحنيفية السمحة التي قصها علينا القرآن الكريم، وكذا في اللقاءات العامة متأسيا بما كان يفعله عليه الصلاة والسلام عندما كان يعرض نفسه على القبائل في مواسمها وأسواقها ويدعوهم إلى الله ﷻ، كقوله ﷺ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا)[١]، وغيرها من تلك الأحاديث الواردة في هذا الشأن العظيم.

٣- أماكن الدراسة والمدارس سيما وأنه كان مديرا للمدرسة الدينية في الرمادي[٢]، فإنه كان ينصح طلبته بأن المدرس المخلص لدينه يستطيع أن يدعو إلى الله تعالى من خلال إلقاء الدروس الخاصة والعامة، وأن يخلص النية والعمل لله تعالى، وأن يتمسك بالمبادئ والقيم التي كان عليها والأخذ بها حتى تجعله مقبولا في جميع الأوساط والاستفادة من ذلك في طريق الدعوة والنصح والتوجيه والارشاد يكون قدورة لطلابه واعماله وأخلاقه حتى تنطبع في أذهانهم، وتظهر في أعمالهم وأخلاقهم[٣].

٤- التأليف والتحقيق: فقد ألف الشيخ رحمه الله تعالى بعض المؤلفات كما ذكرنا آثاره فيما سبق، وغالب هذه المؤلفات هي ما زالت مخطوطا، وقد ابتدأ وهو في العقد الثلاثين من عمره ولم يزل مكبا على العلم دؤوبا على التصنيف، وقد تميزت مؤلفاته بميزات عديدة وهي كالآتي:

أ- تنّبيه للدعوة وتوجيه الناس وخصوصا الشباب توجيها صحيحا.

ب- محاربته للبدع، وهمته في ذلك.

ج- عنايته بفقه القرآن والحديث والسيرة النبوية الشريفة.

د- بروز الجانب العلمي فيها، ووضوح قوة وشخصية الباحث.

---

(١) ينظر: صحيح ابن خزيمة، باب: ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْكَعْبَيْنِ اللَّذَيْنِ أُمِرَ الْمُتَوَضِّئُ بِغَسْلِ الرِّجْلَيْنِ إِلَيْهِمَا: ١١٩/١، هو صحيح لغيره، إسناده صحيح.

(٢) سبق وأن أشرنا إلى ذلك في أعماله، فليراجع في ص ٦.

(٣) نقل لي أكثر من طالب ألتقيت بهم كان يحثنا على طلب العلم أولا، وأن يتحلى ذلك بالدعوة إلى الله تعالى، وقد تأثر الشيخ بمشايخه الكرام في الدعوة، ونشر العلم القائم على المنهج الصحيح . ينظر: (حياة عالم الأنبار: للشيخ حامد شاكر العاني): ١٢وما بعدها، مجلة التربية الإسلامية العدد ٣٥ لسنة ١٩٨٨م: ٨٧.

هـ – تنوع كتبه في الفنون الإسلامية: التفسير والحديث – الفقه –التجويد.

و– تعلقياته على كتب التفسير والحديث وكتب التفسير، يدلنا على جرأته في إبراز رأيه، والرد على المخالف بالحجة والدليل(١).

ومما لا خلاف عليه أن الشيخ عبدالجليل رحمه الله تعالى كان داعيا إسلاميا من كبار الدعاة المعاصرين، له تأثيره الخاص على نفوس الناس وإقناعهم . والقدرة على مخاطبة العقل ومن ثم الدخول للقلوب.

٥– الهاتف: كان الشيخ يعطي الناس الذين لا يمكن الوصول إلى الشيخ وقتا في الهاتف في المسجد وفي البيت، فيتم الاتصال به، ويقوم الرد عليهم، وحل إشكالاتهم، ونصحهم، وبيان الطريق الصحيح من غيره.

٦– اللقاءات في الوسائل الإعلامية (الراديو): كان رحمه الله تعالى يجري بعض اللقاءات الإعلامية بخصوص توضيح تخص أمور الشرعية الإسلامية، مثلا قضية الربا، الحروب التي تدور بين المسلمين، قضية الأنصبة والمواريث التي تم تعديلها والتلاعب فيها، حديث عن فضل شهر رمضان المبارك، قضايا الزواج وأنواعه وغيرها.

وكانت لتلك المقالات الوقع الكبير بين قلوب الناس، ولها تأثيرا ملموسا على المستمعين، كما أنها جاءت لتربية طلبة العلم على البحث العلمي الأصيل المستقل، وتزيل التقليد الأعمى التي تلقتها النفوس من غير طريق العلم الشرعي الصحيح، وإحياء بعض السنن الميتة ونبهت على الكثير من الإخطاء الشائعة التي بنيت على غير أصل شرعي صحيح.

٧– وسيلة السيارة: كان الشيخ رحمه الله تعالى يتنقل بسيارة طلابه ومحبيه، ويخرج واعظا ومعلما ومرشدا لهم، وخصوصا في القرى والأرياف يعلمهم أصول الدين الإسلامية وبعض القضايا الفقهية التي يحتاجها أهل تلك المنطقة ويأخذ معه بعض تلامذته وطلبة العلم ويفتح لهم باب السؤال، وهذه الوسيلة فيها فوائد عظيمة، منها استغلال الوقت في نشر العلم، وكسر الحواجز بين الداعية والمربي وبين الطلاب، وفيها كسب قلوب الطلبة، ونشر العلم الصحيح الخالي من التطرف والغلو والتعصب، ويضرب لهم مثالا لذلك حال الأعرابي الذي جاء يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام... إلى أن قال أفلح إن صدق(٢).

نستنتج من كلام الشيخ رحمه الله تعالى في استشهاده بالحديث الشريف في الأعرابي

---

(١) ينظر للمزيد: حياته بشكل تفصيلي في الكتاب الموسوم: (حياة عالم الأنبار: للشيخ حامد شاكر العاني): ١٢وما بعدها، جهود الشيخ عبدالجليل في التفسير ومنهجه فيه: ١٣.

(٢) رواه البخاري في صحيح في باب الزكاة في الإسلام: ١٨/١، ومسلم في صحيحه، باب: بَابُ بَيَانِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ: ٤٠/١.

الذي سأل النبي ﷺ عن أركان الإسلام وتدرجه مع السائل، سماحة هذا الدين وليونته وسهولته، وهذا ما دعت إليه الشريعة السمحاء الغراء، وعلى هذا المنوال سار الشيخ على هذا المنهج الوسطي المعتدل.

٨- الرحلات العلمية: للشيخ رحمه الله تعالى سفرات ورحلات علمية داخل بلده العراق، وقد زار معظم محافظات العراق مثل بغداد، الحلة، البصرة، الديوانية، بعض أقضية المحافظة كهيت وحديثة والرطبة، إذ كان يعقد فيها الندوات والمحاضرات، ويجيب الأسئلة والاستفسارات، ويصدر الفتوى.

وقد لقي إقبالا طيبا من الناس في هذه الأماكن التي زارها، وتعرف عليه ثلة من طلبة العلم، وكانت لهذه الرحلات الأثر الكبير في نفوس طلبة العلم مما جعل الشيخ يستمر فيها لتحقيق الهدف المرجو منها(١).

المطلب الثاني: جهوده في الفتوى:

كان الشيخ رحمه الله تعالى من الذين تصدوا للإفتاء، إذ كانت وسيلة الإفتاء بابا من أبواب الدعوة إلى الله تعالى، لما اتصف به من علم وحلم ودراية، إذ كانت توجه له الأسئلة، ثم يرد على أسئلتهم، مبينا لهم الأحكام الشرعية للناس، وتوضيح الحلال من الحرام، حتى يسلك العباد طريق الحلال، ويتجنبوا طريق الحرام بكل صوره وأشكاله.

كانت أجوبته تحضا بقبول عام بين جماهير الناس والمثقفين، وتلقى رواجا شائعا وتجد مكانها في قلوب الناس، وتحضا بالقبول والثقة.

وقد اتسمت روح الفتوى عنده بالدقة العلمية، وبالنزعة الوسطية، والقدرة الإقناعية، وقد أصبح مرجعا من المراجع المعتمدة لدى الكثيرين من المسلمين في العالم الإسلامي وخارجه. إذ كانت ترسل له بعض الأسئلة عن طريق البريد لغرض التأصيل العلمي، وكما ترسل له مع الأسئلة بعض مطبوعات رابطة العالم الإسلامي: (كتفسير أضواء البيان للشنقيطي، وكتاب العدة للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت١١٨٢هـ) في أربعة أجزاء).

وترأس الشيخ رابطة العلماء في مدينته، وعرف بلقب (القاضي)، وكان مديرا للمدارس الدينية في محافظته وعضوا في رابطة علماء بغداد آنذاك، إذ كانت تنهال عليه الأسئلة في مسجده من بعد صلاة العصر إلى نهاية صلاة العشاء، يحرر ويكتب ويناقش بما فتح الله عليه من علوم الشريعة الإسلامية، إذ كان مميزا من بين أقرانه، ويزوره كبار العلماء في مسجده وداره،

---

(١) كافتتاحه جلسة العلماء بتلاوة القرآن الكريم بعد انتهاء موسم الحج مع جمع كبير من العلماء ومنهم شيخه الشنقيطي في بيت عائلة الزامل في مكة المكرمة، وذلك موثق ومسجل ومفرغ بالأشرطة وكان آخر لقاء به عام ١٩٧٤م.

وأحيانا ترد للإذاعة اسئلة شرعية، فكانوا يجلبونها للشيخ، وبعد فترة يرد عليها في وقت لاحق.

اتسم منهجه بالتيسير لا التعسير، والاعتماد على الحجة والدليل، والبرهان الساطع، والتحرر من العصبية والتقليد، مع الانتفاع بالثروة الفقهية للمذاهب المعتبرة، وعلى مخاطبة الناس بلغة عصرهم، والاهتمام بما يصلح شأنهم والاعراض عما لا ينفعهم، والاعتدال بين الغلاة والمقصرين، وإعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح والتعليل.

فمثلا كان يُسأل الشيخ عن الصلاة خلف يجهر بالبسملة ويسلم تسليمة واحدة. فقال: هذا جائز ومستحب ومؤكد عليه، بل يحرم أحيانا أن لا تصلي خلفه اذا كانت لا توجد مساجد أو ان لا تصلي خلفه لمعنى هذه المسائل الاجتهادية، الجهر بالبسملة مذهب أكابر الصحابة، بل أن الأمام أحمد كان يصلي ببعض الشافعية ويغير من صلاته، ونحن كذلك نغير مراعاة إذا كان في بلد من الشوافع أو بلد شافعي، وهذا مما يسعى فيه الخلاف وهو يسير، وهي ليست آية من آيات الفاتحة، وهدي الصحابة ظاهر في هذا المسألة، لكن كيف نتعامل مع من خالفنا بهذا ؟ بسعة الأفق ونصلي خلفه ولا حرج، والتسليمة والواحدة جاءت عن ابن مسعود وترى فيها آثار، إذا سلم وانصرف من صلاته، إن شئت سلمت تسليمه أخرى، وإن شئت تركت متابعة له(١).

نلمس من هذه الفتوى روح السماحة وسعة الأفق وعدم التعصب تنوع ثقافاته، وتعدد قراءاته في مختلف أنواع المعرفة الشرعية، فالمتخصص في الدراسات الشرعية لا ينحصر في مذهب واحد أو رأي واحد، بل يتنقل في حقول العلم والفكر، ويمتص رحيق الأزهار بألوانها وأشكالها المتنوعة، ويتحرر من التقليد الأعمى بكل صوره وأشكاله؛ فهو يستفيد من أشياخه وأقرانه وأصحابه وغيرهم، ثم ينطلق بفكره الحرّ يتلمّس مختلف السبل بعقلية ناضجة مستقلة؛ وليس كل الناس يقوى على ذلك؛ فأصحاب الفكر هم المعادن الكريمة النادرة، وهم القادرون على توجيه الأمة، وأما عامة الناس فهم همج رعاع أتباع كل ناعق.

وكذلك في موضوع الطلاق يعالجه بقصة وموعظة للمطلق قبل أن يجد له الفتوى، كان الشيخ يضرب المثل له بمثال واقع، يقول الشيخ رحمه الله تعالى للمطلق: زوج طلق امرأته، وتزوج امرأة أخرى، وطفله من الزوجة الأولى يبكي في الصباح عند خروج الناس لعملهم، فقام أحد الناس بسماع صوت الطفل يبكي بكاء مرا، فاتضح أن زوجة الأب الثانية تخرج للعمل، فاتضح أن الجيران هم يرحموه، ثم يعيدوه إلى بيت ابيه عند وقت نهاية العمل، أريت لو أن ولدك هكذا هل تفعل ذلك بأسرتك وتهديم لكيانها. ثم بعد ذلك يطلب منه التفكير في موضوع إعادة الزوج، ويجد له حلا لمشكلته، فيفتش عن رأي فقهي يسير فيه أمر الزوج والزوجة، ويعيد بناء

(١) سؤال وجه له في إحدى جلسات الإفتاء عصر يوم الجمعة سنة ١٩٧١م. والجواب مكتوب بخط يده رحمه الله تعالى.

الأسرة المسلمة[١].

نستوحي من كلام الشيخ رحمه الله تعالى وتدرجه مع السائل ومن مقتضيات تجديد الخطاب الديني مراعاة التدرج في التكليف واستخدامه أنسب العبارات الدالة على أبلغ المعاني، وكذلك مراعاة فقه الأولويات، بأن يبدأ بنموذج وضرب للمثل، ثم يبدأ بإيجاد الفتوى له، خطاب الديني، ليكون الخطاب وثيق الصلة بالناس، يحسّن أحوالهم، ويبث فيهم السهولة واليسير، فكما هو معروف أن التدرج هو جلب المصالح للناس، ودرء المفاسد عنهم، وتحقيق سعادتهم الدنيوية والأخروية، فكل خطاب ديني يفتح عليهم أبواب المفاسد والشرور لا صلة له بالشريعة الغراء.

المطلب الثالث: جهوده في توجيه طلبة العلم في الدعوة إلى الله تعالى:

اهتم الشيخ رحمه الله تعالى بتوجيه طلبة العلم من خلال ترأسه للمدارس الدينية في المحافظة، وظهر فيها نشاطه وتأثيره، باعتباره سيصبح عالما ربانيا يدعو إلى الله تعالى وهديه وحسن سمته على رسم الشرع قبل أن يدعو بلسانه، وماله ونسفه.

ومن أهم جهوده في هذا المجال:

١- توجيه طلبة العلم إلى فهم الدعوة إلى الله، إذ لا بد له أن يفهم أصل الدعوة إلى الله، وما المراد منه، وما الرسالة التي ينبغي أن يدعو إليها؟

كان يجيبهم الشيخ رحمه الله تعالى قائلا: عليكم أن تعرفوا ميدان الدعوة إلى دين الإسلام، وأن تعودوا إلى الإسلام الحقيقي الذي جاء به الله تعالى في كتابه وسنة نبيه الصحيحة، الحنيفة السمحاء، واضحة لا غبار فيها، لا عواج فيه، سليمة غير سقيمة، بينوا للناس ما يخالف دين الإسلام الصحيح، ونبذ المبادئ والأفكار الدخيلة، والعقائد الهدامة، حتى نبين للناس أنه هذا هو الدين الحقيقي، المبني على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن هذا العمل الذين تقومون به، هو زكاة العلم[٢].

٢- الاهتمام بأمر المنهج الدعوي الذي سرنا وسار عليه مشايخنا الذين سلكوا هذا المنهج، ومن يسلك هذا المسلك، ألا وهو طلب العلم، وفق منهجية في الطلب، وتتبع للأثر.

٣- التحصين بطلب العلم، وتتبعه من مضانه، والتفقه فيه، والتأصيل لمسائلة، وبث روح التسامح للناس، وعدم التضييق والتقييد لمذهب معيين، والتبصر في أمور الدين، وتتبع السنن، وخلاف ذلك يؤدي إلى الفرقة، والتناحر، والزجر، ويوقع في أخطاء نحن وأنتم في غنى عنها، مما يتسبب بالضرر في أصل الدعوة إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ

(١) ينظر: سؤال وجه له في إحدى جلسات الإفتاء عصر يوم الجمعة سنة ١٩٧١م. والجواب مكتوب بخط يده رحمه الله تعالى.

(٢) محاضرة ألقيت على طلبته في المدرسة الدينية عام ١٩٦٩م.

حُسْنًا﴾[١] أي: كما يقول الإمام ابن عباس ﷺ: وقولوا للناس صدقا وحقا فِي شأن محمد ﷺ، فمن سألكم عنه فاصدقوه وبينوا له صفته، ولا تكتموا أمره، ولا تغيروا نعته[٢].

٤- الإخلاص في طلب العلم والدعوة، واستحضار النية فيها، والتخلص من كل ما يشوبها، فقال: إن العبد بإمكانه أن يتوجّه بعمله ويبتغي فيه وجه الله تعالى، كما أن بإمكانه أن يتوجه فيه من غير قصد النية فيكون فيه رياء أو شبهه وهذا غير مطلوب.

٥- التحلي بخشية الله ظاهرا وباطنا، والمحافظة على شعائر الإسلام، وإظهار السنة قولا وعملا، وكما قرأت عن الإمام أحمد قال: (أَصْلُ الْعِلْمِ خَشْيَةُ اللهِ تَعَالَى)[٣].

٦- الابتعاد الانحدار التي قد يقع فيها بعض طلبة العلم التي قد يسيطر عليهم أمراض العصر كالتفاخر والعجب والحسد والانانية وسائر أمراض القلوب، وأن يستعينوا بمشايخهم وأرباب السلوك والطرق الصحيحة التي لا اعوجاج فيها ولا انحراف، قائلا لهم: هذا هو دين الوسط، ودين الاعتدال.

المطلب الرابع: جهوده في طريقة تدريس التفسير والتأليف والخطب المنبرية:

لقد برع الشيخ عبدالجليل الهيتي في سائر فنون علوم الشريعة، وكان نصيب التفسير من هذه الجهود بالغ الوفرة، عظيم الأثر، غاية في التحقيق والتأصيل[٤].

وإن الشيخ لم يؤلف مصنفا مستقلا في التفسير، وإنما اكتفى بتدريس التفسير في دروسه ومحاضراته، ولعل من أسباب ذلك أنه لم يتفرغ للتأليف فقد كان رحمه الله تعالى متفرغا لتأليف القلوب وتربيتها وتعليمها، وقام بشأن الأمة صغيرها وكبيرها، قريبها وبعيدها، عربيها وعجمها، فملأت حلقاته الأسماع والأبصار، وعمّر المساجد بمحاضراته القيمة ودروسه النافعة، وكان لتفسير القرآن من ذلك نصيب وافر، واستطعت بفضل الله تعالى جمع الكم الأكبر من محاضراته وأوراق خطبه، لينتفع منها الناس، فضلا عن طلب وحاجة الناس إليها.

وإنه لجهد كبير، فقد بدأ الشيخ في التعليم مذ كان شابا يافعا يمارس الدعوة والإرشاد، إلى أن كبر وبلغ الثمانين من العمر ولم تفتر همته، ولم يتغير نشاطه، ولم تخب جذوة الحماس في نفسه، ولم يتحول من جهاده شيء، ولم يتراجع عما كان عليه من الهدى حتى قبضه الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٢) ينظر: تفسير روح المعاني: ١٧٢/١.

(٣) ينظر: شرح المستنقع للشنقيطي: ٢/١.

(٤) ينظر: حياة عالم الأنبار: ١٣١، والموقع الالكتروني: www.Masagd.com الشيخ عبدالجليل إبراهيم الهيتي.

وسنتكلم باختصار عن بعض جهوده في طريقة التدريس والتأليف والخطب المنبرية:

أولا: طريقته في تناول دروس التفسير: فقد فسّر الشيخ رحمه الله تعالى بعضا من آيات القرآن الكريم في دروس عديدة وأوقات مختلفة، ويمكن تقسيمها على عدة فروع:

الفرع الأول: التفسير المباشر: وأعني به ما كان التفسير عند مقصودا قصدا أوليا ومباشرا، وهذا القسم يقع عنده في اتجاهين:

الاتجاه الأول: تدريس التفسير: ولهذا المجال ثلاث صور:

الصورة الأولى: التدريس في المدارس النظامية: فقد درّس الشيخ مادة التفسير في المدارس التي تعين فيها مدرسا ولسنوات عدة.

الصورة الثانية: الدروس التفسيرية في المسجد لطلبة العلم وتلاميذه: فقد كان للشيخ طلبة كثر يتلقون عنه، وينتظمون عنده لأخذ العلوم الشرعية والعربية عنه، ومن ذلك علم التفسير، وهذا المجال هو أوسع أعمال الشيخ رحمه الله تعالى في التفسير.

وكانت طريقته في ذلك اختيار سورة معينة من القرآن الكريم يجد حاجة التلاميذ قائمة على تفسيرها، ثم يشرع في تفسيرها لهم.

الصورة الثالثة: التفسير للعامة، وذلك في المجالس العلمية واللقاءات العامة، إذ درج الشيخ على افتتاح لقاءاته العلمية العامة بتفسير آيات من القرآن الكريم، وكان الغالب على ما يفسره في مثل هذه المجالس هو من الجزء الأخير من القرآن الكريم؛ لحاجة الناس إلى معرفته، ولكثرة قراءته في الصلوات(١).

الاتجاه الثاني: التأليف في التفسير(٢) إذ ألف رسالتين في التفسير، الأولى: (تفسير أوائل سورة المؤمنون)، أمّا الثانية فبعنوان: (تفسير أوائل سورة القلم)، وهذا يرشدنا إلى بدايات التأليف عند الشيخ رحمه الله تعالى بدأت في بداية الأربعينيات، بدليل: إن تذييل نسخة رسالته التي بعنوان: (لزوم الطلاق الثلاث دفعة بما لا يسع العالم دفعه) كانت بتأريخ الأربعينيات، والله أعلم.

الفرع الثاني: التفسير غير المباشر: وأعني به التفسير الذي لم يكن مقصودا قصدا أوليا، وإنما المقصود درس إرشادي عام أو درس في علم آخر من علوم الشريعة، لكنه استدعى تفسير آية أو أكثر، وبيان ما يشكل فيها، وهذا يأتي تبعا لحاجة اقتضاها المقام.

ويشتمل هذا القسم من التفسير على ما يأتي:

أ- التفسير في دروس الوعظ: فقد كان يختار آيات محددات حسب ما يراه أصلح وأنفع

---

(١) وذلك موثق ومسجل ومفرغ بالأشرطة كتفسير سورة النصر والعصر والفلق والناس.

(٢) ينظر للمزيد: جهود الشيخ عبدالجليل إبراهيم الهيتي في التفسير ومنهجه فيه: ٧١٢ وما بعدها، وص٦ من البحث.

للمجتمع حينئذ تصحح بعض المفاهيم أو التي فُهمت من الناس وصرفت إلى غير مدلولها ومرادها التي أرادها الله له، كآيات الجهاد والقتال، وآيات الأخلاق، وآيات تنظيم شؤون الأشرة، ثم يقوم الشيخ رحمه الله تعالى بتفسيرها وشرحها واستخراج أهم الفوائد منها، وقد حضرت له بعضا منها، ويمكن حصرها بخمس وعشرين آية تقريبا في هذا الموضوع.

ب- تعليقاته تتضح في مجالين:

المجال الأول: التعليق على بعض كتب التفسير التي كان يدرسها:

اعتنى الشيخ رحمه الله بتدريس التفسير طيلة حياته، وكان يضع تعليقاته ولمساته عند التدريس وكانت هذه التعليقات كثيرة ومتفرقة وفي أيدي طلبته، وكعادته كان يطلب من بعض الطلبة المتميزين بقراءة بعض نصوص التفسير، ثم يبدأ الشيخ بتفسير الآيات وتوضيح العبارات، ويعلق على ما يحتاج تعليقه، وأثناء التعليق يوجه طلبته إلى العناية بعبارات ذكرها أصحاب الكتب توجه القارئ إلى التركيز على منهج الخطاب المعتدل، والذي أكد عليه الشيخ ودعا إليه صاحب الكتاب فمثلا: من هذه الكتب التي درسها:

١. **تفسير أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن**: (١٣٩٣هـ)، كان لهذا التفسير اهتماما خاصا، ولأهمية هذا التفسير عنده فإني أضع هنا بعض المعالم ملخصة على النحو الآتي:

أولا: اعتنى رحمه الله بهذا الكتاب أتم عناية، ونال الاهتمام به من قبل الشيخ، فمثلا كان يفسر لهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾[١].

قال الإمام الشنقيطي: (وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة)[٢].

٢. **تفسير الإمام الرازي** ت(٦٠٦هـ)، كان الشيخ يقرأ في هذا التفسير، ويتناول بعض آياته للمقارنة مع كتب التفسير بالرأي، ويلخص هذه الآيات التي يحتاجها، ويُدّرسها على بعضٍ من طلبته، وكان يقول لطلبته أن هذا التفسير فيه وفرة المادة التفسيرية، ويرشدهم إلى بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٣]، ثم يذكر لهم قول الإمام الرازي قائلا: (... فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَدْلِ الَّذِي هُوَ الْخَطُّ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ فِي الْأَعْمَالِ الشَّهْوَانِيَّةِ وَفِي الْأَعْمَالِ الْغَضَبِيَّةِ وَفِي كَيْفِيَّةِ إِنْفَاقِ الْمَالِ، فَالْمُؤْمِنُ يَطْلُبُ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى الصِّرَاطِ

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٩-١٠.

(٢) أضواء البيان: ١٧/٣.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ الْوَسَطُ بَيْنَ طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ فِي كُلِّ الْأَخْلَاقِ وَفِي كُلِّ الْأَعْمَالِ، وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ)[١].

المجال الثاني: تعليقه على الكتب الأخرى: كان الشيخ رحمه الله تعالى يقوم بتفسير بعض الآيات عند شرحه للمتون العلمية وقد قُيد له بعض من تفسير تلك الآيات ومن أمثلته تلك الكتب:

١- **شرح كتاب سؤدد الإسلام بإتباع سيد الأنام للشيخ أحمد بن محمد العدناني**، وبلغ عدد آياته مئة آية، وكان يفسر قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ...﴾[٢]، ثم يعقب الشيخ قائلا: إن الحفاظ على المجتمع المسلم واجب، وإن أي اعتداء على المجتمع مرفوض جملة وتفصيلا، وقد حذر رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام من تروع المسلم، بل حتى بقصد الخطأ وإشهار الحديدة على أي رجل مسلم ولو بقصد اللعب، ولذلك كانت وصية رسول الله ﷺ: (من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه)[٣].

٢- **شرح رياض الصالحين المسمى دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين للعلامة محمد بن علي بن إبراهيم بن علان الصديقي الشافعي** (ت١٠٥٧هـ) في ثمان أجزاء، وبلغ عدد آياته أكثر من مئة وخمس وسعبين آية، فمثلا عند تفسيره لقوله ﷺ: (آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، ...)، فذكر صاحب كتاب دليل الفالحين: (وترك الغلوّ في العبادة)[٤]، قال الشيخ رحمه الله تعالى: ومن أهم ما يرشد إليه قضية عدم التفريط في الغلو، فإن الغلو في الدين من أسباب هلاك الأمم قبلنا، فلينا ترك التشدد، والتزام السماحة والتيسير ما أمكن وأغنى[٥].

ثانيا: جهوده في تجديد تدريس التفسير: فقد وجدت عند الشيخ رحمه الله تعالى في تفسير بعض آيات القرآن الكريم منهجا مغايرا لما عليه المفسرون المتقدمون من اتباع التفسير التحليلي: (ذكر معاني المفردات اللغوية وأوجه الإعراب والقراءات، ونحو ذلك)، فهو نهج منهجا سهلا

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب: ٢١٨/١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٣) ينظر: مسند الإمام أحمد: ٢٦٨/٧. والحديث حسن صحيح، وتعليق الشيخ واضح على صفحة الكتاب ص٥٦.

(٤) ينظر: دليل الفالحين شرح رياض الصالحين: ٣٩٥/٢.

(٥) ينظر: كلام الشيخ رحمه الله تعالى أثناء تعليقه على تفسير هذا الحديث في ٢٩٥/٢، وهذا من باب التعليق على الكتب التي يدرس طلبته منها، ويهتم بها.

واضحا لكل من يطلع على مؤلفاته، أو يسمع حلقات درسه في التفسير، ويمكن إجمال أهم أوجه التجديد بالآتي:

الوجه الأول: السهولة في العبارة والدقة في بيان المعنى: فقد حدثني أغلب طلابه الذين درسوا على يديه في المدارس الدينية آنذاك بسهولة عبارته، حيث كانت سهلة وممتعة وواضحة(١).

الوجه الثاني: التحذير من الغزو الفكري والأخلاقي: تحدث الشيخ عن الغزو الفكري ووصفه بالمرض الخطير الذي اجتاح العالم الإسلامي اليوم فصار هو البديل عن الغزو العسكري وهو أخطر منه، لأنه يهيمن على الأفكار ويسيطر عليها ويذل الشعوب فكانت له أهداف منها:

١- جعل المسلمين ينبذون إسلامهم :لأنه مصدر قوتهم كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(٢)، وقال أيضا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟...﴾(٣).

٢- الحفاظ على زعامة الغرب للعالم و ذلك بتوجيه العالم حسب رغباتهم و مصالحهم ويرى أن الإسلام منافس خطير لحضارتهم.

والحلول المقترحة للقضاء على الغزو الفكري هو:

١- التعريف بالإسلام و دراسته دراسة عميقة تتناول الأصول الفكرية والعقائدية كما تتناول الأحكام التشريعية مع عدم إغفال التراث الفكري الثقافي للمسلمين.

٢- تربية المسلمين على ضرورة انتزاع قيادة العالم من أيدي الغرب و تحويلها إليهم وذلك بفرض حضارتهم وفكرهم وامتلاكهم للتفوق العلمي الذي كان في الماضي بيد إسلافهم.

٣- وجوب القناعة لدى المسلمين أن حضارة الإسلام يمكنها تعويض حضارة الغرب والتفوق عليها في الحاضر والمستقبل.

الوجه الثالث: وظف الشيخ رحمه الله بعض الآيات وطبقها على واقعه المعاصر، وحاول توجيه الناس لما أراده القرآن الكريم، واثبات أن هذا القرآن صالح لكل زمان مكان، أن العبرة بالعموم لا بالخصوص، وهذه ميزة في المفسر في عصره(٤). ويتمثل ذلك في ما يأتي:

أ: الرد على بعض العبارات الشائعة: منها التبيّن، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) بينا ذلك في مطلب خصائص تفسير الشيخ عبدالجليل الهيتي رحمه الله في الفقرة ثانيا.

(٢) سورة القرة، الآية ١٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٧.

(٤) ينظر: حياة عالم الأنبار: ١٨٧، ٢٠١.

ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[١].

فقد جاء كلام الشيخ رحمه الله في إطار التوعية والتوجيه، وتثبيت أسس التعامل مع الخبر والإشاعة، إذ أرسى القرآن الحكيم قاعدة أساسية في هذا الشأن، والخطاب القرآني هنا في غاية الصراحة والصرامة – في آن معاً – مؤكداً ضرورة التثبت أو التبين من مصدر الإشاعة، وأوّل خطوة في مقاومة الإشاعة وأهم نقطة هي معرفة مصدر الإشاعة بدقة حتى نتمكّن من تفنيدها عن علم وقوّة ومن المعالم التي لفت إليها القرآن الكريم في باب (التبيّن) هو تجنّب ترديد الإشاعات ونشرها بين الناس. ولقد حذّر الإسلام من خطر الإشاعة وترويجها، فقال تعالى: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧﴾[٢]، فيجب التروّي والتدبّر وتفحّص الإشاعة ؛ لأنّها وباء خطير قد يجلب الدمار للفرد والأسرة والمجتمع، فالأولى أن نعلم أولي الأمر أو القيادة بالإشاعة لأنّهم أقدر على فهمها والرد عليها فور سماعها، وبذلك نقضي على الشائعات في مهدها، وتقف مباشرة عند الشخص الذي يبلغ المسؤولين عنها لا تتعداه، إذ يأتيه التوضيح السليم من المسؤولين الذين أبلغهم بالشائعات، وكما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ ...﴾، قال: كثيرا ما يستشهد بها النساء لثني الرجال عن الزواج بزوجة ثانية، والصواب أن هذه الآية هي: ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، وحتى استشهادهم خطأ، لأن معنى الآية لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء في الحب والجماع، وقد كان النبي ﷺ متزوجا من تسع نساء في وقت واحد[٣].

ب: من أوجه التجديد عند الشيخ رحمه الله تعالى في تفسيره أن الاستنباطات، نوعان جلية وخفية، وهي متنوعة وخصوصا بقضايا تربوية[٤].

ج: الحث على دفع أسباب الفرقة والاختلاف والمودة والائتلاف والنهي عن التفرق: يتصف الشيخ رحمه الله برحابة صدر مميز فمع كبر سنه، وعدم قدرته على الحركة بشكل طبيعي، إلا أنه لا يكاد يمر يوما إلا ومجلسه عامر بالضيوف وطلبة العلم، ويتحمل هموم أمته، ويحل مشاكل طلبة العلم، فيجدون القلب قبل البيت مفتوحا، وكم سعى رحمه الله لحل

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٦.

(٢) سورة النور، الآيات ١٥– ١٧.

(٣) محاضرة للشيخ سجلت له عام ١٣٦٥هـ، أثناء تفسيره لآيات سورة النور.

(٤) ينظر: الشيخ عبدالجليل وجهوده في التفسير.

الخصومات التي تحدث أحيانا بين طلبة العلم، وكان يحدثهم على الاعتصام، ويذكرهم بقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ...﴾(١)، قائلا: انتبهوا أيها الشباب واعتصموا بحبل الله جميعا كما أمركم، وإياكم والتفرق فاقطعوا دابر هذا التفرق واستأصلوا شأفة كل أسبابه، سواء أكان هوى أم تعصب أم أي شيء(٢).

بهذا الأسلوب كان الشيخ يحاول التنبيه إلى المآخذ لتعالج عن طريق الآيات، وإلى الجراح لكي تضمد بنور القرآن الكريم.

ثالثا: جهوده في تفسير بعض الآيات من خلال خطب الجمعة(٣):

ويشتمل على خطب منبرية ألقاها الشيخ، وهي كثيرة، وقفت على أهم الخطب ذات الصلة بالموضوع، من أبرزها:

الخطبة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، تناول فيها تهيئة الفرد لأن يكون صالحا لمجتمعه وبيئته.

الخطبة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ...﴾ تناول فيها أهمية المعلم ودوره في تربية الجيل الصالح لتعلم العلم.

الخطبة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾، تناول فيها مبدأ ترسيخ أهمية لزوم الجماعة.

الخطبة الرابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾، تناول فيها النهي والتحذير من الغلو في الأمور.

الخطبة الخامسة: تفسير قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ...﴾، تناول فيها مبدأ ترسيخ دين الحنيفية السمحة، وإن الدين يسير لا عسر.

الخطبة السادسة: تفسير للآيات التي تخص المساجد ودورها في تنشئة جيل واع خال من أمراض العصر الفتاكة.

الخطبة السابعة: تفسير الآيات والأحاديث التي تخص الفتن والملاحم.

الخطبة الثامنة: تفسير الآيات التي فيها حث على التمسك بكتاب الله تعالى والتحذير من مخالفته. وغير ذلك ما أمكن حصره من الخطب التي تناولت تفسير بعض الآيات من كتاب الله ﷻ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢) محاضرة للشيخ سجلت له عام ١٣٦٥هـ، أثناء تفسيره لآيات من سورة آل عمران ١٣٦٦هـ.

(٣) ينظر: ملحق الخطب المنبرية المطبوعة على الآلة الكاتبة في كتاب: حياة عالم الأنبار: ٨٨ وما بعدها، الشيخ عبدالجليل وجهوده في التفسير: ٧١٤.

المطلب الخامس: جهوده في الدعوة إلى الوسطية:

دعا الشيخ رحمه الله تعالى إلى الوسيطة في سائر صنوف منهجه تدريسا ووعظا وإرشادا وإفتاءً، وكان الشيخ من دعاة الوسيطة والاعتدال، منافيا ومكافحا لأهل الغلو والتطرف، معتدلا في كل شيء، سائرا على هدي أهل السنة والجماعة في الأخذ بالوسط في كل الأمور، دون إفراط أو تفريط، سائرا على منهاج الوسيطة، الذي هو أعدل المناهج في نشر دعوة الإسلام، والحفاظ على تماسك المجتمع المسلم، داعيا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد تناول الشيخ هذا الجهد الوسطي في لقاءه الإعلامي الذي أجرته معه وكالة الأنباء المحلية العراقية عام ١٩٨٠م، وكذا في خطبته التي تناول فيها متناول أثر الغلو والغلاة في الدين الإسلامي وأدلة ذلك من الكتاب والسنة وعلاج ذلك، وفي وعظه الذي كان يلقيه في مسجده، ويمكن إيجاز ذلك بإجمال سريع:

١. **الخطاب الإذاعي:** سئل فضيلته عن أسباب الإنحراف والتطرف وعلاج ذلك، فقال: (افتتح اللقاء بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[١] قائلا: (الوسطية هي المنهج الرباني، وسنة الله في خلقه، وبيان صفات أهل القرآن وأخلاقهم، وسط بين انحرافين، وخيار بين اتجاهين، أمة خيرة عادلة مزكاة بالعلم والعمل)[٢]. ثم يسوق كلام الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان: (أَيْ: خِيَارًا عُدُولًا، وَيَدُلُّ لِأَنَّ الْوَسَطَ الْخِيَارُ الْعُدُولُ)[٣].

٢. أفرد الشيخ رحمه الله تعالى أكثر من خطبة وجعلها أشبه بالسلسلة تكلم عن وسيطة الإسلام وسماحته، ومنهجية الإسلام فيها، وأصل لذلك من الكتاب والسنة النبوية، ودعا فيها الشيخ رحمه الله تعالى إلى بيان المعنى العام للوسطية وأقوال أهل التفسير فيها، وكيف تربى الصحابة الكرام والتابعين ﷺ على منبع الوسطية الأصيل، وكيف نشروا الإسلام في ربوع المعمورة، ومن جاء بعدهم من سلف وخلف هذه الأمة الوسيطة الذي كان يكثر من أقواله فيها قائلا: (الاعتدال بين الإفراط والتفريط)، وقال أيضا: (لا نجاة إلا بهذا القيد) وكان يقصد منهج الوسطية المعتدل[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٢) نص كلام الشيخ رحمه الله تعالى في اللقاء التلفزيوني الذي جرى تسجيله عام ١٩٨٠م بمناسبة الحروب التي تجري بين المسلمين، ونشوء ظاهرة القرآنيون بين شباب الأمة المسلمة.

(٣) أضواء البيان للشنقيطي: ٤٥/١.

(٤) ينظر أقوال الشيخ رحمه الله تعالى في خطبه عن الوسطية والاعتدال التي تمت الإشارة إليها في فقرة الخطب المنبرية ص ١٧، وينظر: ملحق الخطب المنبرية المطبوعة على الآلة الكاتبة في كتاب: حياة عالم الأنبار: ٨٨ وما بعدها.

ثم يعرج رحمه الله تعالى على عدم الالتزام بهذا المبدأ المهم والركن الأقيس، وأثر ذلك على المجتمعات الإسلامية التي تعرضت بالآونة الأخيرة إلى الغزو الفكري والتطرف الماحق الذي صرف رسالة الإسلام السمحاء عن أوصلها ودينها الحقيقي الذي جاءت من أجل خلق مجتمع رفيع عن الدخيل وكل ما شابه ذلك، ثم يختم الشيخ حديثه عن علاج الوسطية قائلا:

أولا: معرفة العلم الصحيح وعدم الغلو في الدين والتسمك بالدستور القويم والحصن الحين هي السنة النبوية، فبمعرفتهما ينجو المسلم من الجهل ويضمحل بالغلو والتطرف.

ثانيا: قوة الرسوخ بالعلم وقوة الحجة، ودراسة ما كان يخاطب الله به أنبياؤه ورسله، والرد على الخصوم المعاندين بالأدلة الصحيحة.

ثالثا: تشغيل الأصل العقلي من أصول التفسير المعتبرة عند أهل التفسير، وهذا ما وجدته في قوة ورجاحة وحكمة أهل التفسير في الرد على الخصوم ومقارعتهم بالحجج والأدلة العقلية.

٣. **الوعظ والإرشاد**: سبق وأن تكلمنا عن الدروس التي كان الشيخ يلقيها في مسجده، وقد سجلت للشيخ بعضا من النقاط التي نبه الناس إليها وعلى شكلين بإيجاز:

أولا: كان الشيخ رحمه الله تعالى يفسر بعضا من الآيات للشباب بعد انتهاء الوعظ ومنها ينفذ إلى بناء جيل عال الهمة رصين الجانب واعٍ لما يحاك إليه من مؤامرات ودسائس، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[١]، قال الشيخ لهم: (على المسلم القوي أن يهتم بكافة سبل حياته ومنها الملبس والمأكل والمشرب، وأن يتعالى عن الأمور الحقيرة التافهة التي دخلت على مجتمعاتنا كما أراها فيما يتعلق به الشاب من تقليد للغرب من أدعياء التخنث والرذيلة وفرق الضلالة والجهالة، ثم يعالج هذا الأمر بضرب المثل لسيدنا الصديق ﷺ باختيار سيدنا الشاب الصغير في السن رئيسا لجمع القرآن الكريم وما هي أسباب اختياره له)[٢].

ثانيا: كان يترك وقتا للشباب عن طريق الأسئلة والتوجيهات الاجتماعية لهم، وقد سأله أحد الشباب عن تفسير قوله ﷺ: (لتتبعُنَّ سَنَنَ من كان قبلَكم، شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ تبعتُمُوهم)، قلنا: يا رسولَ اللهِ، اليهودُ والنصارى؟ قال: (فمَنْ؟)[٣]، قال الشيخ رحمه الله تعالى: (بعد أن فسر لهم الشيخ معنى الحديث، أردف منبها: هذا هو الاختلاف

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٢) وعظ الشيخ رحمه الله تعالى في شهر رمضان المبارك عام ١٩٨٤م . وينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١/٢٠٣.

(٣) صحيح مسلم، باب: إتباع سنن اليهود، ٤/٢٠٥٤.

المذموم المنهي عنه من قبل سيدنا الحبيب عليه الصلاة والسلام، إذ أن غالب الدول والناس يقلدون الغرب تقليدا أعمى في كل شيء من تحية الإسلام وانفتاح وتقليد على كل الأصعدة والتعاملات السياسية والإدارية والإعلامية والثقافية وغيرها).

وممكن إجمال ما دعا إليه الشيخ رحمه الله تعالى بالآتي:

١. إن مذهب الوسطية مذهب قائم على التوازن بين الأمور، وتحديد أهداف التربية على الوسطية الإسلامية، وفتح مجال الخبرة في مناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية، وإبراز دور الوسطية والاعتدال فيها، ومعالجة الانحرافات الفكرية فيها، وتهذيب القنوات الإعلامية وبث روح نشر تعاليم الإسلام السمحة.

٢. ركز الشيخ أن دور التربية قائم على الكتاب، والمعلم، والأسرة.

٣. إن مفهوم الوسطية ليست حكرا على فئة أو مذهب أو طائفة، بل هي صفة إسلامية خالصة، قائمة على فكر وفهم نير، يدعو إلى عبادة الله تعالى الواحد الأوحد الفرد الصمد.

٤. الوسطية تعني التوازن وعدم الإفراط أو التفريط، كما تعني العدل والسير في صراط الله المستقيم، ومن ثم لا يبغي أن نفهم من الوسطية التسيب والتساهل وإتباع الأهواء فمقياسها هو الشرع نفسه وأحكامه.

٥. دعوة الناس إلى نشر حقيقة الإسلام والتصدي للسياسات الإعلامية الخاطئة سواء أكان التي تمس الأخلاق أم التي تعمل على نشر الفكر المتطرف في عقول المجتمعات العربية والإسلامية.

المطلب السادس: جهوده فى الدفاع عن حقوق الرعية:

دعا الشيخ رحمه الله تعالى إلى المطالبة بحقوق الرعية في أكثر من موقف، وقد تنوعت المطالبة حسبما يراه الشيخ في الدفاع عن حقوقهم المسلوبة من قبل ولاة الأمور، وكان يوجه الحاكم في خطبه المشوهدة له، وفي وعظه، وفي مقابلته للحاكم للدفاع عن الحقوق المسلوبة وارجاعها إلى الناس، وترك مظالمهم في كل شيء، وسأبين بعضا من الجوانب على ذلك:

١. في خطته التي ألقاها في الدفاع عن حقوق شريحة المعلمين عام ١٩٧١م قائلا: يجب على الراعي أن يراعى رعيته بالرفق واللين وعدم تأخير رواتبهم وايصال حوائجهم، ورفع الربا الحاصل من جراء أخذ السلف من البنك ورفع الفوائد والاقتراض)

٢. لقاءه للحاكم: وقع الشيخ رحمه الله تعالى على بيان اصدره هيئة كبار العلماء في العراق، –إذ كان الشيخ وقتها أحد كبار العماء في العراق– على بيان رفض فيه دعوة إلى جعل ميراث الذكر مثل نصيب الأنثى، وهاجم الحاكم آنذاك حيث اصدر الحاكم قانونا بتعديل ميراث الرجل مثل المراءة، وقد سجن الشيخ رحمه الله تعالى آنذاك، وبعدها قابل الرئيس وتم تعديل

القانون. وحكى لي أكثر من شخص بعد خروج الشيخ رحمه الله تعالى، طالب بالوحدة بدل التفرقة، والتكاتف ضد الافتراق، وإلى توحيد كلمة الخطاب الديني الشامل المبني على الألفة والحبة والى رص الصفوف ووحدة الكلمة، وعدم النيل من دعاة الغرب إلى النيل من وحدة البلد، لأن حبه والدفاع عنه يعد من الإيمان.

٣. لقاءه بوزير الأوقاف السابق: ألتقى الشيخ رحمه الله تعالى بمسؤول الأوقاف، ودعا فيه إلى الاهتمام بالمساجد وإعطائها حقها، وكونها تؤدي رسالة الإسلام الصحيحة الخالدة، وكونها منبع النور، ومنها كانت تنطلق الجيوش الإسلامية في الفتوحات، ومركز استقبال الوفود التي كانت تزور بلدنا.

وعرج قائلا: (فيها تقام الصلاة، وتوحد الكلمة، وتصدر البيانات التي تحاك ضد البلد، وتهذب النفوس، ويحصل بذلك الخير الكثير للأمة الإسلامية)، ودعا كذلك إلى الاهتمام بشريحة موظفي الأوقاف وزيادة معاشاتهم، وترشيحهم بالدورات التوعوية، واكتساب الخبرات، وتوحيد كلمتهم، وأدائهم لمناسك الحج، رفدهم بما كل جديد.

نستنتج مما تقدم أن الشيخ رحمه الله تعالى بذل النصح والتوجيه للحاكم، وبيّن المقصد الأسمى بين الراعي والرعية، لما في ذلك مصلحة الأمة، فهذا ديننا يوجهنا إلى بيان طاعة أولى الأمر ونصحه وتوجيه، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ قال: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[١].

(١) صحيح مسلم: ١:٧٤، باب: بيان أن الدين النصيحة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد: فكان أهم ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث هي كالآتي:

١. إن جلوس الشيخ عبد الجليل رحمه الله للتعليم وتفرغه له تلك المدة الطويلة التي زادت على أكثر من نصف قرن، وحرصه على التواصل مع الناس ونفعهم سواء أكان في اللقاءات العامة، أم بالتأليف، أم في غيرها، كانت من أعظم الأسباب التي أوصلته لتلك المكانة العالية في قلوب الناس، وجعلتهم يحرصون على دروسه ومعرفة آراءه، فلقد ذاع صيته واشتهر اسمه، وأصبح من أبرز علماء عصره.

٢. وضف الشيخ رحمه الله تعالى تفسير القرآن الكريم، واختياره لبعض الآيات التي دعت إلى اختيار مجتمع سليم بعيد عن كل يناقض ويناهض الغلو والتطرف.

٣. للقضاء على ظاهرة البعد عن الوسطية لا بد من معالجة الأسباب التي أدت إلى التطرف والغُلو، مثل الفقر وغياب العدل والمساواة في المجتمعات الإسلامية.

٤. الاهتمام بتربية النشء المسلم تربية فكرية أصيلة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن على المربي أن يراعي مبدا الفروق الفردية بين المتعلمين

٥. دعا الشيخ إلى احترام حرية الأشخاص، وبث روح التعاون والألفة، والابتعاد عن جو البغضاء والشحناء، والنهي عن التقاتل فيما بينهم.

٦. إن الإسلام هو أعظم العقائد، فيه دعوة إلى منهج الوسط والاعتدال في كل شيء، وهو المنهج السائد في روح سماحة الشيخ، وهو منهج وسط.

٧. دعا إلى الوحدة في كل شيء في العقيدة والاجتماع والفكر والسلوك وفي أسسه التشريعية التي جاءت بها.

٨. إن الخطاب الديني المعتدل الذي سلكه الشيخ رحمه الله تعالى يتح له الوصول الى جميع شرائح المجتمع، ويعمل على تجميع جهود الأمة الاسلامية نحو هدف واحد.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١- الإتقان في علوم القرآن: للحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تقديم وتعليق: الدكتور مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٣- حياة عالم الأنبار الشيخ عبدالجليل إبراهيم الهيتي، حامد شاكر العاني، مطبعة القبس، ط١، ١٩٨٨م.
٤- جهود الشيخ عبدالجليل إبراهيم الهيتي في التفسير ومنهجه فيه، بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد ١٣، ٢٠١٢م.
٥- رسالة في علم التجويد: الشيخ عبدالجليل ابراهيم أحمد، مخطوط بحق المؤلف.
٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٧- الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبدالمنعم الحميري (ت٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
٨- سؤدد الإسلام بإتباع سيد الأنام: للشيخ أحمد بن محمد الإمام العنداني (ت١٣٨٠هـ)، مطبعة العلم، ١٩٥٧م.
٩- شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع: شرح الدكتور محمد بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، إدارة مراجعة المطبوعات الدينية، الرياض، السعودية.
١٠- الشيخ الجليل عبدالجليل موقع على الإنترنيت عنوانه :(www.alrashed.bet.) أنور مصطفى العاني.
١١- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ)، حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أَحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٢- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤- العدة حاشية العلامة السيد محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني (ت١١٨٢هـ)، على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: للعلامة ابن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ)، قدم له وأخرجه وصححه: محب الدين الخطيب، تح: علي بن محمد الهندي، المكتبة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.

١٥- مجموعة الخطب المنبرية: للشيخ عبدالجليل إبراهيم أحمد، مخطوط بخط المؤلف، مسلسلة حسب الموضوعات.

١٦- مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع: لصفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي، (ت٧٣٩هـ)، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٣هـ.

١٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن «تفسير البغوي»: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٩- مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٠- معجم البلدان: الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي المشهور بـ ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت.

٢١- هيت في إطارها الحديث والقديم: رشاد الخطيب الهيتي، مطبعة أسعد، بغداد، ط١، ٢٠٠٧م.

المجلات والجرائد:

١- مجلة التربية الإسلامية، العدد١٢، ربيع الأول، لشهر تشرين ٢٠٠٢م.

٢- جريدة الرأي العراقية، العدد السابع، شباط، ٢٠٠٠م.

الأشرطة الصوتية:

سيدي بمجموعة خطب منبرية مسجلة للشيخ عبدالجليل ابراهيم رحمه الله.

سيدي بمجموعة محاضرات مسجلة للشيخ عبدالجليل ابراهيم رحمه الله.